المقــال

زوجــي الآغــاخـــان

للبيكم «السيدة» أغـاخــان

ان النظام الذي يتبعه أغاخان في حياته اليومية، يختلف باختلاف المكان الذي يكون فيه. ففي القاهرة مثلا، يقضي فترة الصباح بعد طعام الإفطار في نادي الجزيرة، حيث يستمتع بلعبة الجولف، و هي أحب أنواع الرياضة لديه، فإذا حل موعد الغداء ذهب توا الى نادي محمد علي لتناوله، و استقبال الزوار و التحدث إليهم. ثم يعود الى فندق سمير أميس ليستريح قليلا في جناحه الخاص، و بعد إذن يخرج للنزهة و زيارة بعض الأماكن الأثرية كسقارة أو تأدية بعض الواجبات الاجتماعية. ثم يؤثر بعد هذا، آن يعتكف ليطالع الكتب والمجلات الكثيرة التي يهواها، ما لم تشغله عنها مناسبة خاصة.

أما الهواية الخاصة التي ولع بها منذ زمن طويل، فهي لعبة الجولف. و ليس غريبا أن تكون هذه اللعبة الهادئة المفيدة، هوايتي أنا أيضا.

أما الهواية التي تستغرق الشطر الأكبر من أوقاتنا فهي الأسفار فنحن لا نمكث طويلا في بلد من البلدان العالم، بل ننتقل من مكان الى مكان. فلا نستقر في مدينة، حتى نكون قد تأهبنا لمبارحتها.

و الواقع أننا في حركة لا تنقطع. و يخيل إلينا أننا قلما نستريح - و لا نستريح إذا قطعنا المسافات الشاسعة في السفر، و لا نستريح إذا القينا عصا الترحال. فكأننا خلقنا للرحيل، والتنقل و التجوال. و لست أنكر السعادة التي نجدها في هذه الحياة التي لا نكاد نضرب خيامنا في مكان فيها، حتى نطويها، و نرحل الى غيره من أرض الله الواسعة.

ولعل البلد الوحيد الذي نستريح فيه نسبيا، هو مصر. ولست أقول هذا لأننا في مصر الآن، أو لمجرد المجاملة، فالحقيقة أننا لا نحس بالراحة من عناء السفر، و متاعب الانتقال الا في القاهرة نقضي أسبوعين، في طريقنا الى افريقية و العودة منها، و فيها أيضا نستريح في سفرنا الى آسيا و أوبتنا منها، و في ذهابنا الى أوروبا و إيابنا منها. إننا هنا نحس أننا في بلادنا و بين قومنا وعشيرتنا.

على أن زوجي يحلو له أن نقضي شهرين من كل عام في قصرنا في مدينة «كان»- في ساحل فرنسا الجنوبي.

و«كان» هي البلد الذي قضيت فيه السنوات الأولى من عمري، وقد أمها أهلي بعد مولدي بستة أشهر.وليس الصيف الفرصة الوحيدة التي نزور خلالها فرنسا، إذ أننا نرحل إليها وغيرها في بلدان أوروبا في الظروف الملائمة. و مع كثرة هذه الأسفار، فإن زوجي أغاخان لم يرحل الى الولايات المتحدة الأمريكية منذ أربعين عاما تقريبا، و أما أنا فلم أر تلك البلاد العظيمة الى الآن. أليس هذا غريبا ؟

و من الحوادث التاريخية التي لا تنسى في حياة زوجي ,الاحتفال بمرور ٦٥ عاما على تقلده «الإمامة»، وما تبع ذلك من وزنه مرتين ماسا في «دار ا لسلام» (تنجانيقا بشرقي أفريقية) و بومباي في الهند، وهي حادثة لا أخال أحدا يجهلها أو لم يسمع عنها.

ولو أنني كنت أدون في يومياتي، ما نشهده من التقاليد و العادات الغربية، في شتى أطراف المعمورة، لملأت مجلدات، ولعل أغرب ما شاهدت في رحلتنا الأخيرة في إيران ما حدث في «محلات». محلات هذه بلدة صغيرة بين مدينتي أصفهان و طهران. وهي بلدة أغاخان الأول،جد زوجي - سمو أغاخان (الثالث). و قد رحل أغاخان الأول مع أسرته أثر خلافات سياسية بينه و بين الدولة القارجاية، الى كراتشي في الباكستان، لان أقواما فيها، من أصل السادات الأمامية التي ينحدر منها آل أغاخان. كان لا يخطر ببالي ان في العالم، مثل ما رأت عيناي بين المطار الذي حطت فيه الطائرة التي أقلتنا، وبين هذه القرية، فقد تقاطرت الجماهير المحتشدة على طول الطريق، و معهم الماشية و الخراف و الجمال، و في أيديهم سكاكين طويلة، حادة، مخيفة. و كلما تقدمت السيارة خطوات، توقفت عن المسير أمام رجل يطعن حيوانه بسكينة طعنة نجلاء في عنقه، فيرتمي على الأرض تتدفق منه الدماء. وأخذت الذبائح تنحر، و الدماء تتدفق، وهتافات الجماهير تختلط بأصوات الحيوانات المسكينة، وقد تكدست لحومها على طول الطريق، ووأصلت سيارتنا المسير وهي تخوض الدماء، وتخترق الجماهير الى أن بلغنا بعد زمن ليس بقصير، قلعتنا (قصرنا)في القرية، و من الغريب أن أولئك الذين اشتركوا في هذا الموكب، واحتشدوا بذبائحهم في هذه المسافة الطويلة، لم يكونوا كلهم من إتباع سمو أغاخان. بل على النقيض من ذلك كان أكثرهم من الفلاحين و من غير إتباعه.

أما أنا، فقد عانيت من هذه المناظر عذابا نفسياً أليماً. وقد كنت أحجب عيني بيدي و أتلوى من الألم و الخوف. و كنت كلما رفعت يدي عن عيني ,أرى شاة أو ناقة أو بقرة ينفصل رأسها عن جسمها في أقل من لمح البصر ، أو يتعلق «بخيط» منه، وهي لا تزال واقفة على أقدامها، وكان أفراد حاشيتنا ينهونني عن هذا العمل، الذي يجرح كرامة المحتفلين بنا، وأنا لفرط حبي للحيوان، فقد تعودت الشفقة به منذ نعومة أظفاري، لا أطيق أن أراه يتعذب، وقد كادت أعصابي تنهار وكاد جسمي يتهدم، لولا أنني فتحت عيني أخيرا، فوجدت نفسي في تلك القلعة الأثرية الخالدة!

وكما أن زوجي أغاخان يهوى السفر و التنقل و لعبة الجولف,فانه يهوى كذلك الكتب و المجلات، والقراءة و الاطلاع، اذ تستغرق القراءة من وقته في المتوسط، من أربع ساعات الى

السيدة آغاخان

خمس يوميا، وتشمل هذه الكتب و المجلات، كل ما يتصل بالفكر الإنساني من دينية، وعلمية، وأدبية، و فلسفية، من نثر وشعر، الى ما يقصد به التسلية، و الترفيه، و الاسترخاء، وراحة الجسم و العقل.

أما اللغة الغالبة في هذه الكتب و المجلات فالانجليزية، على أن منها ما هو العربية، أو الفارسية، أو الهندستانية، أو الفرنسية، وسموه شديد الولع على الأخص بقصائد الشاعر الفارسي المطبوع حافظ شيرازي، ومنظوماته، و يقرؤها بلغتها الأصلية، لأنها في الغالب لم تنقل الى لغات أخرى، أو على الأصح يصعب جدا ترجمتها، لأنه من الشعر الفلسفي الصوفي العميق، فإذا ما ترجمت فقدت قيمتها الفنية، و تعبيراتها الفارسية الجميلة، ومعانيها السامية التي لا تستقيم في غير الفارسية، آراءها وفلسفاتها الصوفية، التي تذهب اللغات الأجنبية بروعتها الكامنة بروعتها الكامنة في الأصلية

هذا فيما يختص بالمطالعة، إما لغة الحديث بيننا فالفرنسية دائما و بينما يتكلم زوجي بطلاقة الانجليزية و الفرنسية، و الفارسية، و الهندستانية، و لغة أخرى على الأقل من لغات القارة الهندية، والعربية، فأنني أتكلم غير لغتي الأصلية - الفرنسية - الانجليزية، و الايطالية وعبارات قليلة من بعض اللغات الشرقية.